ثالثا: المحور الثالث: الآيات ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ ،[النبأ: 17-20]

وتفسيرها كما يلي:

أولا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن ذكر لهم الأدلة على البعث، ذكر أن له يوما معلوما عند الله ثم بيّن لهم هنا كيفية وقوعه وبعض ما يكون فيه من الأحداث إجمالا[1] .

ثانيا: غريب الألفاظ الواردة في الآيات:

1- {**يوم الفصل**} يَوْمُ الْفَصْلِ هو يوم القيامة، لأن الله تعالى يفصل فيه بين المؤمنين والكافرين، وبين الحق والباطل [2] . يعني يوم القضاء بين الخلق كان ميقاتاً[3].

{**كانَ ميقاتا**} أي كان في علم الله، أو في حكمه[4].

2- {كان ميقاتا}: الميقات الوقت المضروب للشيء والوعد الذي جعل له وقت، وقد يقال الميقات للمكان الذي يجعل وقتا للشيء كميقات الحج [5] .

يعني ميقاتاً للجزاء موقوتاً لأجل معدود كما قال تعالى: {وما نؤخره إلا لأجل معدود} ،[هود: 104]، وما ظنك بشيء له أجل معدود وأنت ترى الأجل كيف يذهب سريعاً يوماً بعد يوم حتى ينتهي الإنسان إلى آخر مرحلة، فكذلك الدنيا كلها تسير يوماً بعد يوم حتى تنتهي إلى آخر مرحلة، ولهذا قال تعالى: {وما نؤخره إلا لأجل معدود} كل شيء معدود فإنه ينتهي[6].

3- {**الصور**} الصُّورِ :أي: القَرْن الَّذي يَنفُخُ فيه إسرافيلُ المَلَكُ المُوَكَّلُ به.

ينفخ فيه نفختان: إحداهما لفناء من كان حيًّا على الأرض، والثانية لنشر كل مَيْتٍ، فعن عبد الله بن عمرو، قال: سُئِل النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – عن الصُّور، فقال: «قرنٌ يُنفخُ فيه"[7] .

وقيل:" الصور" جمع"صورة"، ينفخ فيها روحها فتحيا وهو قول ضعيف[8] .

---

1 المرجع السابق، ج9، ص10 .

2 تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (5/ 425)

3 التفسير البسيط 23/ 125.

4 التفسير المنير – الزحيلي 30/ 15.

5 المفردات في غريب القرآن (ص: 529)، التفسير البسيط 23/ 125 ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 25 ، تفسير العثيمين: جزء عم ص29

6 تفسير العثيمين: جزء عم ص29

7 قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي في التلخيص. وأورده الألباني في الصحيحة 3/ 68 (1080). موسوعة التفسير المأثور 22/ 608

8 تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (11/ 462-463) قال ابن عطية : «والأول أشهر، وبه تظاهرت الآثار، وهو ظاهر كتاب الله تعالى في قوله: {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى} [الزمر: 68]». موسوعة التفسير المأثور 22/ 610

4- {**فتأتون أفواجا**} الْإِتْيَانُ: الْحُضُورُ بِالْمَكَانِ الَّذِي يَمْشِي إِلَيْهِ الْمَاشِي.

والفوج في اللغة: الجماعة من الناس وغيرهم؛ وقيل هو: الجماعة المارة المسرعة. وقَدْ جاء بيان حَالَ هَذَا الْمَجِيءِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا}، وَقَوْلِهِ: {كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ}[9].

5- {وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا} شُقِّقَتْ وَصُدِّعَتْ فَكَانَتْ طُرُقًا[10] .

كلمة (**كَانَتْ**) هنا بِمَعْنَى: صَارَتْ. كقوله تَعَالَى: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ ،[الرَّحْمَن: 37] [11].

{فَكَانَتْ أَبْوَابًا} أي: ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة نزولًا غير معتاد. أي: صارَ في السماء فُرُوجٌ على هيئة الأبواب، حتى أنَّ الناظرَ إليها يراها أبواباً مفتَّحة [12]

وقد رد هذا المعنى في غير ما آية؛ كقوله تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً} ،[الفرقان: 25]، وقوله: {وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ} ،[المرسلات: 9]، وقوله: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} ،[الانفطار: 1.]

وقيل: **الأبواب** هنا فِلَقُ الخشب التي تُجعل أبوابًا لفتوح الجدران، أي: تتقطّع السماء قِطعًا صغارًا حتى تكون كألواح الأبواب[13].

6- {وسيرت الجبال} التسيير: جعل الشيء سائراً ، أي ماشياً . أي: نقلت الجبال وقلعت من مقارّها بسرعة بزلازل أو نحوها، كقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ،[الكهف: 47] ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ ،[الطور: 9-10] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ،[التكوير: 3]

7- {**سرابا**} السراب: ما يلوح في الصحاري مما يشبه الماءَ وليس بماء[14]؛ والمعنى: هَباءً وغُبارًا مُنتَشِرًا كالسَّرابِ في عَينِ النَّاظِرِ؛ أي تصير الجبال لا حقيقة لها، كالسراب لا حقيقة له، فهي: شيء كلا شيء؛ لتفرق أجزائها، وانبثات جواهرها، قوله تعالى: {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (6)}، وهي وإن اندكت وانصدعت عند النفخة الأولى، لكن تسييرها كالسحاب، وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية[15].

---

9 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 8/ 409 ط الفكر تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 25

10 تفسير غريب القرآن - الكواري (1-78) .

11 التحرير والتنوير 30/ 33.

12 تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 25 أ. تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص25.

13 موسوعة التفسير المأثور 22/ 610.

14 التحرير والتنوير . الطبعة التونسية (30/ 33) .

15 التحرير والتنوير . الطبعة التونسية (30/ 33) .

ثالثا: القراءات الواردة في الآيات:

القراءة المتواتر : بسكون الواو[16] {**في الصُّورِ**} و قرأ أبو عياض وهي قراءة شاذة: "**في الصَّوَرِ**" بفتح الواو؛ ويكون معناها جمع صورةٍ.

{**فُتِحتْ**} قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف التاء، وقرأ بقية العشرة "**فتّحت**" بتشديد التاء، وهو مبالغة لكثرة الفتح أو لشدته إشارة إلى أنه فتح عظيم لأن شق السماء لا يقدر عليه إلا الله[17] .

رابعا: بلاغة الآيات:

{ان يوم الفصل} وَأُكِّدَ الْكَلَامُ بِحَرْفِ التَّأْكِيدِ لِأَنَّ فِيهِ إِبْطَالًا لِإِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ وَتَكْذِيبِهِمْ بِيَوْمِ الْفَصْلِ[18].

ليوم القيامة أسماء كثيرة ولكنه آثرَ التَّعْبِيرُ عَنْهُ هنا ب{**يوم الفصل**} لِإِثْبَاتِ شَيْئَيْنِ[19]:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ بَيْنَ ثُبُوتِ مَا جَحَدُوهُ مِنَ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ وَذَلِكَ فَصْلٌ بَيْنَ الصِّدْقِ وَكَذِبِهِمْ.

وَثَانِيهِمَا: الْقَضَاءُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمَا اعْتَدَى بِهِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

في قوله {**كانَ ميقاتا**} ولم يقل "إن يوم الفصل ميقات" لِإِفَادَةِ أَنَّ تَوْقِيتَهُ مُتَأَصِّلٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ لِمَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ تَعَالَى الَّتِي هُوَ أَعْلَمُ بِهَا وَأَنَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِهِ لَا يُقَدِّمُهُ عَلَى مِيقَاتِهِ. [20]

في قوله {**مِيقاتاً**}كِنَايَةٌ عَنْ تَحْقِيقِ وُقُوعِهِ إِذِ التَّوْقِيتُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِزَمَنٍ مُحَقَّقِ الْوُقُوعِ وَلَوْ تَأَخَّرَ وَأَبْطَأَ.؛ وَهَذَا رَدٌّ لِسُؤَالِهِمْ تَعْجِيلَهُ وَعَنْ سَبَبِ تَأْخِيرِهِ، سُؤَالًا يُرِيدُونَ مِنْهُ الِاسْتِهْزَاءَ بِخَبَرِهِ.

وَالْمَعْنَى: أَنْ لَيْسَ تَأَخُّرُ وُقُوعِهِ دَالًّا عَلَى انْتِفَاءِ حُصُولِهِ.

وَفِي هَذَا إِنْذَارٌ لَهُمْ بِأَنَّهُ لَا يُدْرَى لَعَلَّهُ يَحْصُلُ قَرِيبًا قَالَ تَعَالَى: لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ،[الْأَعْرَاف: 187] وَقَالَ: قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً ،[الْإِسْرَاء: 51] [21].

وَبُنِيَ {**يُنْفَخُ**} إِلَى النَّائِبِ لِعَدَمِ تَعَلُّقِ الْغَرَضِ بِمَعْرِفَةِ النَّافِخِ وَإِنَّمَا الْغَرَضُ مَعْرِفَةُ هَذَا الْحَادِثِ الْعَظِيمِ وَصُورَةِ حُصُولِهِ. [22] .

(**فكانت أبواباً**) أي ذات أبواب، فقوله (أبواباً) تشبيه بليغ، أي: كالأبواب، والإخبار عن السماء بأنها أبواب للمبالغة في الوصف كأنها هي أبواب كقوله {وفجرنا الأرض عيونا} .

---

16 تفسير البحر المحيط – محقق (8/ 404)

17 «معاني القراءات للأزهري» (3/ 116): «التحرير والتنوير» (30/ 32). «إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر» (ص569).

18 التحرير والتنوير 30/ 29.

19 التحرير والتنوير 30/ 29.

20 التحرير والتنوير 30/ 29

21 التحرير والتنوير 30/ 29

22 التحرير والتنوير 30/ 29، تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص25

(وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً) التشبيه البليغ: في قوله تعالى (وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً) .حيث شبه الجبال بالسراب، وحذف الأداة ووجه الشبه، والجامع أن كلا من الجبال والسراب يرى على شكل شيء وليس هو بذلك الشيء .

(فتأتون) العطف بالفاء في (فتأتون) لإفادة تعقيب النفخ بمجيئهم إلى الحساب كما في قوله تعالى: {أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ}، أي: فضرب فانفلق، والتقدير هنا: يوم ينفخ في الصور فتبعثون من قبوركم، فتأتون إلى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلًا. [23].

{**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ**} بدل من {يَوْمَ الْفَصْلِ}، أو عطف بيان له، مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله[24]،.

خامسا: إعراب الآيات:

(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً) كلام مستأنف مسوق للرد على سؤال قد يرد بعد أن أثبت الله البعث بالأدلة المتقدمة وهو: ما وقت البعث فقال: إن يوم إلخ[25].

وَالسِّيَاقُ دَلَّ عَلَى مُتَعَلَّقِ مِيقَاتٍ، أَيْ كَانَ مِيقَاتًا لِلْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ[26].

4- قوله تعالى ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ ،[النبأ: 19] عطف على فتأتون، وقيل : الواو حالية، والجملة في محل نصب على الحال، أي: فتأتون والحال أن السماء قد فتحت [27].

المعنى الإجمالي للآيات:

{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً} أي: إنَّ يَومَ القيامةِ الَّذي يَحكُمُ اللهُ فيه بيْنَ عِبادِه يومٌ مُحَدَّدٌ بوَقتٍ مُعَيَّنٍ لجَمعِ النَّاسِ للحِسابِ والجَزاءِ كما قال تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ} [الدخان: 40]، وسمي يوم الفصل؛ لأن الله تعالى يفصل فيه بحكمه بين خلقه. ثم ذكر الله تعالى علامات ثلاثا لهذا اليوم، فقال: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (189) أي: وذلك واقِعٌ يَومَ يَنفُخُ المَلَكُ في القَرْنِ لبَعْثِ النَّاسِ أحياءً يومَ القيامةِ، فتأتونَ إلى مَوضِعِ العَرْضِ للحِسابِ زُمَرًا وجَماعاتٍ كما قال تعالى :{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا }،[الكهف: 99. [. وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال)) :جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: الصُّورُ؟ قال: قرنٌ يُنفَخُ فيه.

{وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا}.(أي: وتتشَقَّقُ السَّماءُ وتَنفَرِجُ، فتكونُ أبوابًا مَفتوحةً كما قال وتعالى :{وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا} ،[الحاقة: 16-17 [؛ أي:

---

[23] التحرير والتنوير . الطبعة التونسية (30/ 32)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 25

[24] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 25.

[25] إعراب القرآن وبيانه 10/ 355.

[26] التحرير والتنوير 30/ 30.

[27] إعراب القرآن وبيانه (10/ 355)، الجدول في إعراب القرآن (30/ 217).

وتُقلَعُ الجبالُ مِن أماكِنِها وتتفَتَّتُ تُرابًا، وتكونُ هَباءً، يُخَيَّلُ إلى النَّاظِرِ أنَّها شيءٌ، وليسَتْ بشيءٍ. كما قال تعالى :وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ،[الطور: 10.]

1 – {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَأْتُونَ أَفْواجاً} أي إن يوم الفصل هو اليوم الذي ينفخ فيه إسرافيل بالبوق أو القرن، فتأتون أيها الخلائق من قبوركم إلى موضع العرض زمرا زمرا، وجماعات جماعات، تأتي فيه كل أمة مع رسولها، كما قال تعالى: {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ} [الإسراء 71/ 17.] .

2 – {وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً} أي وتصدعت السماء وشقت، فصارت ذات أبواب كثيرة وطرقا ومسالك لنزول الملائكة، ونظير الآية كثير، مثل: {إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ}[الانشقاق 1/ 84.] وهذا يعني تبدل نظام الكون، وذهاب التماسك بين أجزائه.

3 – {وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً} أي وأزيلت الجبال عن أماكنها، يظن الناظر أنها سراب، وتبدأ أولا بالدكّ كما قال تعالى: {وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبالُ، فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً} ،[الحاقة 14/ 69] ثم تصير كالعهن أو الصوف المنفوش كما قال: {وَتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} ،[القارعة 5/ 101] ثم تتقطع وتتبدد وتصير كالهباء، كما قال: {إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا، وَبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا، فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا} ،[الواقعة 4/ 56 – 6] ثم تنسف عن الأرض كما جاء في قوله تعالى:{وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ: يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً} ،[طه 105/ 20] وقوله: {وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً، وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ} ،[النمل 88/ 27.] [28]

الأحكام والفوائد المستنبطة من الآيات:

1– ليس تأخر وقوع يوم الفصل دالًّا على انتفاء حصوله، وليس تكذيبكم به ممّا يحملنا على تغيير وقته المحدد له ولكن الله مستدرجكم مدة. وفي هذا إنذار لهم بأنه لا يدرى لعله يحصل قريبا .

2– يوم البعث يوم يفصل الله فيه بين الخلائق فهو ميعاد للأولين والآخرين، لما وعد الله فيه من الجزاء.

3– يوم الفصل تنقطع فيه الأسباب وتذهب الآصار ويصير الناس إلى أعمالهم فمن أصاب يومئذ خيرا سعد به ومن أصاب يومئذ شرا شقي به.

5– إذا علم العبد أنه وافد على ربه ليجد ما عمل: انزجر عن المعصية ورغب في الطاعة [29] .

6– ذكرت أحوال الجبال يوم القيامة في القرآن بصفات متعددة مختلفة، ولكن ليس بينها تناقض ولا تعارض بل يجمع بينها بأن كل صفة في وقت غير وقت الصفة الأخرى ولا تَعارُضَ بيْنَها؛ لأنَّ يومَ القيامةِ مِقدارُه خمسونَ ألْفَ سَنَةٍ؛ فتَتغَيَّرُ الأحوالُ وتَنتقِلُ وتَختَلِفُ [30] وقد ذكر بعض العلماء ترتيبها على النحو التالي:

---

[28] التفسير المنير – الزحيلي 30/ 17.

29 التفسير المنير للزحيلي (30/ 20)

30 تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 27

أول أحوالها: الاندكاك والانكسار، كما قال تعالى: {وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (14)}.

وثانيتها: أن تصير كالعهن المنفوش، كما قال: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5)}.

وثالثتها: أن تصير كالهباء، كالعهن، كما قال: {فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (6)}.

ورابعتها: أن تنسف وتقلع أصولها؛ وهو المراد من قوله تعالى: {فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا}.

وخامستها: أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها في الهواء كأنها غبار، وهو المراد بقوله تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ}.

وسادستها: أن تصير سرابًا؛ أي لا شيء، كما في هذه الآية.

وها هنا قاعد في التفسير: "**كلُّ النُّصوصِ في يومِ القيامةِ، الَّتي ظاهِرُها التَّعارُضُ، ليس فيها تعارُضٌ، بل تُحمَلُ على تغيُّرِ الأحوالِ**".